التصور والخيال والايحاء

من المفيد أن نشير قبل كل شيء الى حقيقة هى من الأهمية بمكان ، خاصة بالنسبة لاولئك الذين يتخبطون فى مشاكل وأزمات أنشأتها المخيلة وضخمتها الاوهام ، وهذه الحقيقة هى أن جهازنا العصبى لا يفرق فيما يتلقى من معلومات بين ما كان حقيقة واقعية وما كان مصدره الخيال . فاذا أخذنا مثال رجل شعر بخوف وهو يسير ليلا فى الغابة فان الجهاز العصبى يتأثر بذلك وتظهر على الشخص جميع مظاهر الخوف ظاهراً وباطناً ، سواء شاهد شيئاً مخيفاً أم كان ذلك من صنع المخيله ومعنى هذا أن الانسان يتصرف كما يظن أنه صحيح وتأتى ردود فعله وفقاً لما يتصور أو يعتقد بأنه صحيح فيما يتعلق بنفسه وبمحيطه .

ومن هنا يبدو لنا الدور الكبير الذى يلعبه التصور فى حياة الانسان ، وكذلك دور الايحاء فى تصرفاتنا وسلوكنا وتكويننا ، ولنفرض أن شخصا أطفأ نور غرفته واستلقى لينام (وهذه عادة فترة يحلو لبعض الناس أن يفكروا خلالها فى مشاكلهم واعمالهم ..) فانه يمكنه أن يركز تصوره على ذكرياته الأليمة وفشله ويستعرض حوادث الماضى فى شرط فيحيا من جديد ما كان قد شعر به من مرارة عند سقوطه فى الامتحان وعندما احترق منزله ويستعيد الاحزان والآلام التى سببها موت أبيه أو أخيه .. ويتذكر كيف تألم من الاهانة التى وجهت اليه ولم يستطيع أن ينتقم . ويمكنه أن ينتقل الى التذمر من قساوة الحياة وسوء الطالع .. ويتمنى هلاك العالم العاجل فى حرب هيدروجينية وتهتز فريسته لهذا المنظر فيفيق من أحلام اليقظة . ومن سوء حظه أن كل هذه التصورات المخيفة المحزنة تسجل فى أشرطة الجهاز العصبى ، ولا تزيد حالته الا سوءا واضطرابا .

الذى يلعبه الاتجاه الفكرى فى العمل على تحقيق هدف الانسان خيرا كان ام شرا . فقد دفع أهل هؤلاء المرضى واعتقادهم تلك القوى الخلاقة داخل الجسم فنشطت تساعدهم على تحقيق رغبتهم . ومن هذا القبيل ما لوحظ من تحسن فى حاله الامراض التى تعالج بواسطة الاشعة ، حتى فى الحالات التى ينسى فيها المعالج أن يدير مفتاح الاشعة . وكذلك المعالجة عن طريق التنويم المغناطيسى . وقد شاهدت اشخاصا نوموا مغناطيسيا وقاموا بأعمال تحت تأثير ايحاء المنوم ما كانوا يقدرون عليها فى حياتهم العادية ، والواقع أن قوتهم وذكاءهم وعضلاتهم لم تتغير وانما الذى تغير هو اعتقادهم بسبب تأثير الايحاء .

ونسعد أو نشقى ونقلق أو نطمئن تحت تأثير موجات من الايحاء داخل أنفسنا أو ممن ومما يحيط بنا ، وهى تختلف فى قوتها وتأثيرها من شخص لآخر . وكم من استاذ اوحى لتلميذه بأنه ليس له فكر لتعلم الرياضيات مثلا أو لا يملك الاستعداد الذى يجعله محاميا أو طبيبا أو ذاكرة لحفظ الاسماء فتقبل

بقلم: الأزرق بن علو

الافكار هى التى تحدد موقفه تجاه ما يصادفه من مشاكل وما يلاقيه من تجارب .. ولذلك كانت طريقة تفسيرنا لما يحيط بنا جديرة بالعناية والاهتمام .

فهذا التفسير هو الذى ينتج عنه اصدار حكم على الحوادث والاشياء ، والاسلوب المتبع فى تحليل المحيط يمثل مزاج الانسان غالبا ، وتدخل العواطف تجعله متغيرا عند بعض الناس اتباعا للحالة النفسية التى يجتازها الانسان حين اصدار الحكم على حادث ما ، وقديما قيل :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

كما ان عين السخط تبدى المساويا

ولكن هذه النسبية فى التفسير والحكم لا تتعلق طبعا بالمسائل الواضحة والملموسة كقولنا الشمس طالعة و٢ × ٢ = ٤ بل بما يتعلق بمشاعر الانسان واحواله النفسية من غضب ومرح وحب وكره وتفاؤل وتشاؤم .. الخ .. ويحكى أن شخصا ثقيل الظل بقى ينتظر فى مكتب سكرتيرة العالم اينشتاين وهى منهمكة فى عملها وهو يطرح عليها اسئلة سخيفة وكان من جملة ما سأل رأى الفتاة فى نظرية النسبية فأجابت بسرعة قائلة : رأيى بصورة مبسطة هو أننى جلست مع بعض الأشخاص ساعات وتبدو كأنها دقائق ومع نوع آخر دقائق وكأنها ساعات طويلة ، وقد ينتظر الشاب فتاة احلامه فترة طويلة تحت المطر والبرد ولا ينزعج لان عاطفة الحب والاعجاب جعلت الصعب محتملا والعسير يسيرا ولو ان نفس الشخص ينتظر ربع ساعة لشراء تذكرة القطار مثلا لابدى تبرمه وراح ينتقد الأوضاع .

وكنت اذا ما زرت

ارى الارض تطوى لى ويدنو مزارها

قوم عند قوم فوائد » وقد « تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن » .

وتبدو اهمية التصور والايحاء فى أنه يؤثر على الفكرة التى يحملها الانسان عمن وما يحيط به ان تنجلى كيفية تصوره للاشياء وتقديره للناس فى اسلوب حياته وجميع علاقاته ، ولا شك أن ثقافته ومصالحه بل وشخصيته كلها تنشط لتلوين الصورة المراد تخيلها بالوان التجارب السابقة . غير أن التدريب والممارسة والمثابرة تمكن صاحبها من احلال الصور الجديدة المرغوبة محل الصور القديمة . فاذا كان شخص يخاف من الوقوف امام الجماهير ويجف ريقه ويرتجف صوته وتتوتر اعصابه لانه يتصور تلك العيون المحدقة فيه والوجوه المتطلعة اليه كأنها نسور تريد ان تنقض عليه ، فانه يمكنه بالايحاء والتصور أن يحلل الموقف ويعكس الصورة العقلية فيتخيل مثلا أنهم يحبونه ويسجدونه لافادتهم وأنهم لم يأتوا لمقاتلته .. الخ ..

وبمناسبة الحديث عن الايحاء لا بأس ان نذكر هنا ما يروى أن جحا اراد ذات يوم ان يختلق مشكلة لصديق له . فذهب للسوق وبدأ يخبر الناس بأنهم مدعوون عند فلان للغداء . وأخذ الناس طريقهم نحو بيت فلان وهم يمرون على جحا ويرددون عليه : هيا بنا للغداء يا جحا فتردد برهة ثم قال لنفسه يا لك من ابله يا جحا . الناس تدعوك وانت تتردد ثم رفع عصاه وركض ليكون من الاولين .

ومن الوقائع العديدة والامثلة المتكررة فى حياتنا بخصوص قضية تصور الاشياء والحكم عليها ما شاهدته ذات يوم عندما وصل شخصان للمطار فلم يسمح لهما بالدخول لان الطائرة اوشكت على الرحيل . واخذ احدهما يشكو ويشتم ويلعن ويتذمر وكان صديقه يهدئه ويراوده وقد علمت بعد ذلك أن الانسان الهائج الغاضب جاء فقط مشيعا لصديقه ، وهذا يوم اشتد فيه نزول المطر فلاحظ فيه بعض الناس عابسين متأففين وآخرين راضين مستبشرين وقديما قيل : خير لك ان توقد